المتلقي والعولمة الثقافية

The Recipient and Cultural Globalization

(دراسة في أنماط المتلقين في الفيسبوك)

a Study of Recipient Patterns on Facebook

أ.م.د. رعد هوير سويلم

Asst. Prof. Dr. Ra’ad Hweir Suwleim

جامعة ميسان/ كلية التربية الاساسية

University of Misan/ College of Basic Education

Raadalkaba1980@gmail.com

الملخص

تُعد شبكة الإنترنت إحدى أهم إنجازات التكنولوجيا المعاصرة، بل ربما هي أكثرها قوة. فقد بات بإمكان أي شخص استعمال الإنترنت، والذي يُعد الآن شريانا للتواصل بين شعوب العالم، ومركزا ثقافيا شاملاً لكل الأعمار والمستويات، ولكافة التخصصات العلمية والأدبية لما يمتاز به من وفرة في المعلومات في الميادين المختلفة. وتوصف مواقع التواصل الاجتماعي بأنها الأكثر انتشارا على شبكة الإنترنت، لما تمتلكه من خصائص تميزها عن المواقع الإلكترونية الأخرى، مما شجع متصفحي الإنترنت على الإقبال المتزايد عليها، وهي من أهم المواقع التي اقتحمت الحياة اليومية، حتى أصبحت جزءاً لا يتجزأ من احتياجات الإنسان الضرورية؛ بما لها من مردود فعال في تسهيل حياة الفرد الخاصة، والمجتمع بشكل عام، ففي الواقع نعيش عصر جديد من التطور في عالم التواصل تعجُّ فيه التقنية الحديثة.

الكلمات المفتاحية: المتلقي، العولمة، الثقافة، وسائل التواصل، الفيسبوك.

Abstract

The Internet is one of the most important achievements of contemporary technology, and perhaps the most powerful one. Anyone can use the Internet, which is now considered a artery for communication between the peoples of the world, and a comprehensive cultural center for all ages and levels, and for all scientific and literary disciplines due to its abundance of information in different fields.

Social networking sites are described as the most widespread on the Internet, because of the characteristics they possess that distinguish them from other websites, which encouraged Internet surfers to increase their demand, and it is one of the most important sites that invaded daily life, until it became an integral part of the necessary human needs. With its effective impact in facilitating the private life of the individual, and society in general, in fact we are living in a new era of development in the world of communication teeming with modern technology.

Keywords: recipient, globalization, the culture , media, Face book.

المقدمة

يشهد العالم المعاصر مجموعة من التغيرات المتسارعة في مجال تقنية التواصل والمعلومات، ما جعل العالم قرية كونية تنتقل فيها المعلومات إلى جميع المستخدمين في الكرة الأرضية في أجزاء الثانية، ولا شكَّ أن هذه التغيرات لها تأثيرها المباشر على الأفراد والمؤسسات المكونة للمجتمعات، ما دفع بها إلى قبول هذه المستحدثات، والتكيف معها لتحقيق الفائدة مما تقدم من مزايا وسائل التكنولوجيا.

وتُعد وسائل التواصل الاجتماعي عبر الإنترنت وأشهرها على الإطلاق (الفيسبوك) من أحدث منتجات تكنولوجيا الاتصالات وأكثرها شعبية، وعلى الرغم من أن هذه المواقع أُنشأت في الاساس للتواصل الاجتماعي بين الأفراد، لكن استعمالها أمتد ليشمل النشاطات السياسية والدينية والترفيهية والرياضية من خلال تداول المعلومات الخاصة بهذه الأنشطة.

ويُعد موقع الفيسبوك الأكثر انتشارا على شبكة الإنترنت؛ لما يمتلكه من خصائص تُميزه عن المواقع الإلكترونية الأخرى، مما شجع متصفحي الأنترنت في كل بقاع المعمورة على الإقبال المتزايد عليه بالرغم من الانتقادات الشديدة، التي تتعرض لها مواقع التواصل الاجتماعي على الدوام.

وبما أن وسائل التواصل الاجتماعي تقوم بالأساس على (باث، ورسالة، ومتلقي)، وهذه الوسائط الثلاث مجتمعة هي أساس التواصل بين المتلقين في العالم الافتراضي، فقد وجد البحث ضرورة دراسة فاعلية المتلقي مع العولمة الثقافية، والإشارة إلى أنماط المتلقين في هذا العالم الافتراضي، متخذين من (الفيسبوك) بوصفه الوسيلة التواصلية الأكثر أهمية، والاوسع انتشارا بين المتفاعلين في مواقع التواصل الاجتماعي مجالا لدراسته.

بُني البحث على تمهيد ومبحثين، تناول التمهيد التعريف بالتلقي بوصفه مدرسة أدبية، وامتدادها التاريخي، ومنظريها، فيما عرّج البحث على وسائل التواصل من خلال بيان تواصلها التاريخي من مرحلة النشوء إلى يومنا الحاضر، وجاء المبحث الأول ليسلط الضوء على المتلقي والعولمة الثقافية، فيما أخذ المبحث الثاني بالتركيز على أنماط المتلقين في الفيسبوك بحسب تفاعله مع هذه الوسيلة التواصلية.

التمهيد

تُعد شبكة الإنترنت إحدى أهم إنجازات التكنولوجيا المعاصرة، بل ربما هي أكثرها قوة. فقد بات بإمكان أي شخص استعمال الإنترنت، والذي يُعد حاليا شريان التواصل بين شعوب العالم، ومركزا ثقافيا شاملاً لكل الأعمار والمستويات، ولكافة التخصصات العلمية والأدبية لما يمتاز به من وفرة المعلومات في الميادين المختلفة، ولم يعُد استعماله قاصرا على المعاملات التجارية، والأعمال العسكرية، وطرق الملاحة، وغيرها، بل أصبح يتعايش مع كل مجالات الحياة، ومنها الأدبية، من خلال ما ينشر متعلقا بالأدب من كتب، وأطاريح ورسائل ومقالات ومنشورات من خلال وسائل التواصل.

وتوصف مواقع التواصل الاجتماعي بأنها الأكثر انتشارا على شبكة الإنترنت، لما تمتلكه من خصائص تميزها عن المواقع الإلكترونية الأخرى، مما شجع متصفحي الإنترنت على الإقبال المتزايد عليها، وهي من أهم المواقع التي اقتحمت الحياة اليومية، حتى أصبحت جزءاً لا يتجزأ من احتياجات الإنسان الضرورية؛ لما لها من مردود فعال في تسهيل حياة الفرد الخاصة، والمجتمع بشكل عام، ففي الواقع نعيش عصراً جديداً من التطور في عالم التواصل تعجُّ فيه التقنية الحديثة.

وللوقوف على متطلبات البحث، يجد الباحث ضرورة تقصي المصطلحات التي نحن بصددها في بحثنا مثل: (التلقي، مواقع التواصل):

التلقي

ترتكز نظرية التلقي على أهمية إيصال المادة الأدبية، وتقليبها على وجوهها، لإدراك الأبعاد المعرفية والجمالية والثقافية، لذلك فهي تصب اهتمامها على آلية الاستجابة والأدوات التي يحملها المتلقي عندما يواجه نصا ما، ويسهم من خلال تلقيه للنص بفك شفراته ووصف المعنى الثاني الذي تلقاه، من خلال الأدوات التي يمتلكها[١].

إن نظرية التلقي شأنها شأن غيرها من النظريات الأدبية قائمة على أصول وجذور سابقة عليها، وهو ما يذهب إليه (روبرت هولب) في الإيمان بأن ظهورها مدخل جديد للأدب، خصوصا إذا كان هذا الأدب يدّعي لنفسه وضعا نموذجيا، فليس من الصعب العثور على أفكار وإرهاصات مختلفة تشى بمفاهيم قد تتلاقى مع نظرية التلقي، إذ نستطيع أن نرد بعض الأفكار التي طرحتها نظريات القراءة وجماليات التلقي إلى أرسطو في كتابه (فن الشعر)، من خلال إشارته لفكرة التطهير، بوصفها ركيزة من ركائز التجربة الجمالية؛ لأن التطهير أقدم تصوير لنظرية جمالية تقوم على استجابة الجمهور المتلقي[٢]. ومثل هذه الجذور نجدها كذلك في تركيز مدرسة النقد الجديد على دور القارئ في تفسير النص، وهو ما أشار له الناقد الشهير (ريتشاردز) في كتابية: (كيف تقرأ الصفحة، والنقد التطبيقي)، ومثله تأكيد أهمية دور القارئ عند كل من (كنيث، ونوثروب فراي)[٣].

(١) ينظر: التلقي في النقد العربي في القرن الرابع الهجري، مراد حسن فطوم، منشورات الهيأة العامة السورية، وزارة الثقافة – دمشق، ٢٠١٣م: ص٥.

(٢) ينظر: نظرية التوصيل وقراءة النص الأدبي، عبد الناصر حسن محمد، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات- القاهرة ١٩٩٩م: ص٦٨.

(٣) ينظر: المصدر نفسه: ص٧٠-٧٢.

وقد ارتبطت بدايات نظرية جماليات التلقي بجامعة (كونستانس) بجنوب المانيا، وكان من أبرز ممثليها وأشهرهم (هانز روبرت ياوس، وفلفجانج إيزر)، إذ من خلالهما نستطيع أن نرصد تطورات هذه النظرية والكشف عن مكانتها النقدية والتاريخية من بين مدارس واتجاهات النقد الأدبي الحديث الكثيرة والمتباينة[١].

تقوم نظرية التلقي على جوهرٍ أساسي يقوم به القارئ، وهو عملية امتصاص المعنى الذي يحمله النص، وتبيان معناه، إذ قد يكون المعنى الثاني مطابقا للمعنى الأول الذي أودعه المؤلف في النص، وبذلك يفقد النص قدرته على التأثير في المتلقي، ويُحدث الدهشة لديه، أما إذا كان المعنى مغايرا لمقصدية المؤلف، فأنه يُحدث كسرا لأفق توقع المتلقي، وإحداث الدهشة عنده[٢].

ويوضح (أيزر) أن عملية التحليل الأدبي لها القدرة الايجابية على فعل الاستجابة، وهي استجابة القارئ للنص، إذ لا بدَّ أن تكون ذاتية، وهذا لا يعني أن قيمة النص ليس لها حضورٌ وجوديٌّ في عالم المتلقي، فالمتلقي من خلال لقائه بالنص يعمل على فك أجزائه، ويُعنى بعملية جمع معنى النص الموجود في بنيته المعرفية[٣].

وعلى المتلقي من خلال هذا التحليل للنصوص المطروحة أمامه، وتفككيك بنيتها الداخلية من خلال اسقاط خبرته ومعتقداته وأيديولوجياته، ليُبدي استجابته تجاه النصوص التي تقع في مواقع مشاهدته من خلال نموذج اختاره من نماذج المشاهدة لتلك النصوص (الفيسبوكية) التي وجد البحث فيها مطمحا ليضع المتلقي معالجا لها

(١) ينظر: المصدر نفسه: ص٩٨-٩٩.

(٢) ينظر: مفهوم نظرية القراءة والتلقي، الكلمة المفتاح: قرأ، تلقى، د.خالد علي مصطفى، / .ربى عبد الرضا عبد الرزاق، مجلة ديالى، العدد التاسع والستون، ٢٠١٦م: ص١٥٨.

(٣) ينظر: إشكالية التلقي والتأويل في النص المعاصر (النص المسرحي أنموذجا)، د. مصطفى جلال مصطفى، دار الفنون والآداب للطباعة والنشر والتوزيع، العراق، أفكار للدراسات والنشر والتوزيع-سورية، ط١، ٢٠١٦م: ص ٢٦.

وقارئاً لما يُطرح فيها، فتتنوع استجابته حسب النص الذي يتلقاه، وهنا تكون فاعليته، وعلى اساس تلك الفاعلية تأتي انماط المتلقي حسب تلك الفاعلية والتلاقح مع ما يطرحه الباث، وهذا مطمح الدراسة التي نحن بِصددها.

مواقع التواصل الاجتماعي

تعرف وسائل التواصل الاجتماعي أو شبكات الإعلام الاجتماعي (Social Neteorks) "بأنها مواقع (Websites) أو تطبيقات أخرى مخصصة لإتاحة القدرة للمستخدمين للتواصل فيما بينهم من خلال وضع معلومات، وتعليقات، ورسائل، وصور...الخ"[١].

وقد أكد كثير من الخبراء التقنيين أن وسائل التواصل الاجتماعي تسيطر في الوقت الراهن على (٧١٪)، من السوق الإعلامية والاتصالية عالميا، ولكل وسيلة من وسائل التواصل الاجتماعي خصائصها ومميزاتها وتفردها في نقل المحتوى المطلوب بثه، ولكنها جميعا تتفق على سمة واحدة، هي القدرة على تحقيق التواصل دون حدود مكانية أو زمانية أو قيود على الحرية، وكذلك قدرتها على نقل محتوى الرسائل مرئية كانت أو صوتية أو مكتوبة، ويمكن على هذا التوصيف الوصول لمواقع التواصل الاجتماعي والاماكن الخاصة بها من أي مكان في العالم[٢].

ويأتي ظهور مصطلح شبكات التواصل الاجتماعي من قبل (جون بارنز) الباحث في العلوم الإنسانية في جامعة لندن، والذي صاغه سنة ١٩٥٤م، وظهرت في السبعينات من القرن العشرين بعض الوسائل الإلكترونية الاجتماعية، وكانت فوائد البريد الإلكتروني من أولى التقنيات التي سهلت التفاعل الاجتماعي حيث اتاح هذا

(١) وسائل التواصل الاجتماعي ودورها في التحولات المستقبلية: من القبيلة إلى الفيسبوك، حمال سند السويدي، مطبوعة الكترونيا، ط١، ٢٠١٣م: ص٢٠.

(٢) ينظر: المصدر السابق: ص٢٠-٢١.

التفاعل للأفراد إمكانية تطوير علاقات ثابته وطويلة الأمد مع الآخرين غالبا ما كانت بأسماء مستعارة[١]، وفي منتصف التسعينات من القرن العشرين بدأت شبكات التواصل الاجتماعي تظهر بشكلها الجديد مدفوعة بالطبيعة الاجتماعية للبشر وحاجاتهم للتواصل[٢].

ويجب الالتفات إلى ملاحظة مهمة تتعلق في أن مفهوم وسائل التواصل الاجتماعي تُعد من وجهة نظر بعض الباحثين أضيق من مفهوم أعمّ، وهو مفهوم الإعلام الاجتماعي (Social Media) الذي يُعرف بأنه **" المواقع والتطبيقات التي تتيح للمستخدمين أن يُنشئوا أو يقدموا للغير محتويات معينة، أو يشاركوا في التواصل الاجتماعي"**[٣]. إذ إن ظهور وسائل التواصل الاجتماعي وفرت فتحا تاريخيا نقل الإعلام إلى أفاق غير مسبوقة، وأعطى مستخدميه فرصة كبرى للتأثير والانتقال عبر الحدود بلا رقابه إلا بشكل نسبي محدود، ولهذا تُثير علاقة مواقع التواصل الاجتماعي بالإعلام إشكاليات عدّة لا يمكن اختزالها في الابعاد التقنية المستحدثة في مجال البث والتلقي، إذ تجعلها عاملا محدودا لتحولات ثقافية وتستبعد أنماط التواصل الجديد[٤].

وتمثل وسائل التواصل الاجتماعي إحدى وسائل التعبير التي تهتم بالمتلقي، وتنتظر تفاعله فيها بشكل هام، وهي بتفاعل المتلقي فيها، ومشاركته لها تصبح عاملا اساسيا في تهيئة متطلبات التحول الحياتي في التعبير والتلقي لكل جديد في حياة البشر، عن طريق

---

(١) ينظر: أثر استخدام مواقع التواصل الاجتماعي على سلوك الشباب الجزائرين، كاتب فارس، عقون دنيا، رسالة ماجستير، جامعة العربي بن مهيدي، أم البواقي،٢٠١٦م: ص٤٠.

(٢) ينظر: دور شبكات التواصل الاجتماعي في التغيير السياسي في تونس ومصر من وجهة نظر الأردنيين، عبد الله محمود الرعود، رسالة ماجستير، جامعة الشرق الأوسط، ٢٠١٢: ص٣٩.

(٣) شبكات التواصل الاجتماعي وديناميكية التغير في العالم العربي، خالد وليد محمود، مكتبة النيل والفرات، لبنان، ٢٠١١م: ص٩١.

(٤) ينظر: القيم الاجتماعية في عالم متغير، منال محمد عباس، دار المعارف الجامعية- الأسكندرية، (د.ت): ص٤٣.

الوعي والثقافة الإلكترونية؛ لأن المضمون الذي تتوجه به هذه المواقع عبر رسائل إخبارية، أو ثقافية، أو ترفيهية، لا يُؤدي لإدراك الحقيقة فقط، بل أنه يُسهم في تكوين الحقيقة، وحل إشكاليتها.

«المبحث الأول»

المتلقي والعولمة الثقافية

شهدت عقود الثمانينات والتسعينات من القرن العشرين تركيزا ملحوظا على موضوع المعرفة، وعلاقتها بثورة التكنولوجيا، والاتصالات من ناحية، وعلاقتها بتنامي المجتمع المعلوماتي من ناحية أخرى.

وقد جاء ذلك مصاحبا للوعي الكامل بالأهمية الوظيفية للمعرفة والناتج بدوره عن تغلغل تقنيات الاتصال والمعلومات في بنية الحياة الاجتماعية، وتحكمها بشكل عضوي بشبكة العلاقات الاجتماعية للإنسان المعاصر مما ساعد على ظهور المجتمع المعلوماتي، هذا إلى جانب عوامل دولية أخرى أهمها ظاهرة العولمة[١].

إذ تُشير العولمة إلى العملية التي بواسطتها يجري التغلب على البعد الكوكبي، فكما تزعم النظرية هناك عالم جديد بلا حدود قيد الظهور متحرر من استبداد المسافة المكانية والزمانية، وهذا التحول يعني على أقل تقدير، أن الأفعال المحلية ذات نتائج أو أهداف عابرة للمسافات أو فضائية[٢].

(١) ينظر: تأثير مواقع التواصل الاجتماعي على الأمن المجتمعي للدول الخليجية، أحمد قاسمي، سليم جداي، المركز الديمقراطي العربي للدراسات الإستراتيجية والسياسية والاقتصادية (D.A.C)، ط١، ٢٠١٩م: ص١٥.

(٢) ينظر: الدراسات الثقافية: مقدمة نقدية، سايمون ديورنغ، تر: د.ممدوح يوسف عمران، عالم المعرفة، سلسلة شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، ٢٠١٥م: ص١٣٦.

والسؤال الذي يجد البحث ضرورة في طرحه لنقف عند حقيقة مهمة تتعلق في مفهوم العولمة وتاريخيتها: هل العولمة بوصفها ظاهرة تاريخية حديثة الظهور؟ هل أن لها جذورا موغلة في القدم عند الحضارات القديمة، وصولا للحضارات الجديدة أو المعاصرة؟

ويجد المتتبع لهذا الموضوع أن العولمة من الناحية التاريخية لا تُعد ظاهرةً جديدةً تماماً في تاريخ البشرية؛ فعلى طول التاريخ ظلت الشعوب والثقافات والحضارات تمارس تأثيرها في غيرها ناشرة نماذجها الحضارية والثقافية في العالم المعروف عندئذ، من خلال عولمتها لتلك المعاني حضارية كانت أو ثقافية، ففي بداية الحضارة اليونانية حدث نوع من العولمة فرضته الحضارات السابقة، كالحضارة الفرعونية وحضارة وادي الرافدين، على ثقافة اليونان وصانعي حضارتها.

مثلما الرومان بدورهم عولموا العالم بنشر انظمتهم السياسية والاقتصادية والثقافية، بعد أن تبنوا معطيات الثقافة اليونانية. وفيما بعد تمكن الإسلام وما تولّد عنه من حضارة من عولمة أو (أسلمة) أجزاء كبيرة من العالم، الذي ما يزال يحمل اسم (العالم الإسلامي)، ومثل ذلك فعلت الحضارة الصينية في امتداداتها إلى جنوب شرق آسيا، ناشرة اللغة الصينية وآدابها وغير ذلك من علومها وأنماط المعرفة في كوريا واليابان[1].

وفي المرحلة الثانية وصلت العلمانية إلى بلدان الغرب الأوربي وكيف استطاعوا تحت الغطاء الكولنيالي من الهيمنة على أجزاء واسعة من الكرة الأرضية، والسيطرة على ثقافات الشعوب وتغييب هوياتهم المحلية، إذ أخذوا ينشرون ثقافتهم، وسيطرتهم على كل شيء (ثقافة، فنون، اتصال، سينما، تشكيل، أزياء)، وكل ما يتعلق بالبشر في أرجاء العالم من خلال بسط نفوذهم الكولنيالي، وهو ما يميز الأحداث التي جاءت بعد الحرب العالمية الثانية بتطور العلوم والتقنيات التي أسهمت في التواصل، وتلاقح

(١) ينظر: دليل الناقد الأدبي، د. ميجان الرويلي، د. سعد البازعي، المركز الثقافي العربي-الدار البيضاء، المغرب، ط٥، ٢٠٠٧م: ص١٩٤-١٩٥.

الأفكار وتقاربها بين المتلقين، من خلال محو التراث المحلي، وإلصاق التراث الكولنيالي، ويمتد الاقتصاد الرأسمالي في اتجاهات جديدة، بعد ظهور الولايات المتحدة الأمريكية كقوة سياسية وعسكرية واقتصادية كبرى تحمل أرث الحضارة الأوربية[١].

ولتسهيل فهم القصد من العولمة التي حملت لنا معها مفهوم المجتمع المعلوماتي أن جاز هذا التعبير، فهو حسب رأي العديد من الباحثين: **"المجتمع الذي تتاح فيه لكل فرد فرصة الحصول على معلومات موثقة من أي شكل ولون ومذهب واتجاه من أي دولة من دول العالم دون استثناء، عبر شبكة المعلومات الدولية بغض النظر عن البعد الجغرافي وبأقصى سرعة والوقت المناسب للمشاركة في عملية التبادل الإعلامي"**[٢].

وقد نالت ظاهرة العولمة وتجلياتها الاتصالية والمعلوماتية والثقافية اهتماما كبيرا لتأثيرها على وظائف الاتصال والإعلام في مجتمع المعلومات، حيث تقوم على الارتباط الشديد بين دول العالم عبر استعمال تكنولوجيا الاتصالات، وقد أدى ذلك إلى تحول العالم بطابعه المادي إلى عالم رقمي افتراضي، حيث انتقلت كافة مجالات الحياة لتأخذ طابعا رقميا يدور في فلك الفضاء الإلكتروني[٣].

ونظرا لأن مفهوم العولمة غير محدد وواضح، لتعدد مفهوماتها واختلافها باختلاف الباحثين، نجد من الصعوبة صياغة مفهوم واضح ومحدد لها؛ لأنها تصف وتُعرف مجموعة من العمليات تغطي معظم أنحاء العالم، ولذلك فالعولمة بُعد مكاني، كما أنها تتضمن تعميقا في مستويات التفاعل والاعتماد المتبادل بين الدول والجماعات التي تشكل العالم[٤].

---

(١) ينظر: دليل الناقد الأدبي: ص١٩٥.

(٢) العولمة في المنظور الاجتماعي: ص١٦-١٧.

(٣) ينظر: المصدر نفسه: ص١٧.

(٤) ينظر: عولمة التجريم والعقاب: عثمانية لخميسي، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع- الجزائر، ٢٠٠٦م: ص٦٧-٦٨.

والعولمة الثقافية لم تخرج عن تلك القاعدة التي تبدو بها ظاهرة العولمة ككل **"بوصفها ظاهرة تغريبية بالمقام الأول، ولعله من الطبيعي أن تبدو العولمة من هذا المنظور لصيقة بمفهوم العالمية، والاختلاف بينهما هو أن العولمة ظاهرة دينامية أو عملية متحركة ينتشر بها الغرب إلى غيره، بينما تبدو العالمية صفة ثابتة نسبيا مما يجمل من الممكن القول أن العالمية هي نتيجة لهيمنة الغرب بينما العولمة هي وصف لحدوث تلك الهيمنة"**[١].

وفي الجانب الثقافي من العولمة تظهر الجوانب الأساسية من الثقافة في كل مكان، فالعولمة الثقافية هي أصل العولمات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والأخلاقية؛ لأن الثقافة هي التي تهيء الأذهان والنفوس لقبول تلك الأنواع الأخرى، وتجعل المتلقيّن مستعدين للانضمام إلى الأنظمة والمؤسسات والاتفاقيات الدولية، وتُعد الثقافة عنصرا أساسيا في حياة كل فرد وكل مجتمع وكل أمة، وهي تشمل التقاليد والمعتقدات والقيم، وأنماط الحياة المختلفة والفنون والآداب[٢].

وللعولمة الثقافية وسائلها ومضامينها؛ فوسائلها هي الآلات والأدوات والأجهزة التكنولوجية والإلكترونية، أما مضامينها ومحتواها فهي البرامج الفكرية، والتصورات الأدبية والفنية والمذاهب والنظريات النقدية، والآراء العقائدية (الإيديولوجية)، ووجهات النظر السياسية، ونمط الحياة والتقاليد الاجتماعية في الملبس والمأكل والمشرب، والبرامج التمثيلية والغنائية والموسيقية، وما شاكل ذلك من الأدوات والآلات[٣].

(١) دليل مصطلحات الدراسات الثقافية والنقد الثقافي، د. سمير الخليل، مراجعة وتعليق: د. سمير الشيخ، دار الكتب العلمية –بيروت، ط١، ٢٠١٦: ص٢٢٩.

(٢) العولمة والهوية الثقافية: عشر اطروحات في العرب والعولمة: ص٢٩٧-٢٩٨.

(٣) ينظر: آثار العولمة على البلدان المتنامية في المجالين الثقافي والتواصلي، ناصر الدين الأسد، سلسلة الدرورات، الدورة الخريفية، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية –الرباط، ٢٠٠١م: ص١١١-١٢١.

فالعولمة يمتد تأثيرها إلى اللغات، وما تحمله من فكر وعلوم وآداب، مثلما يمتد إلى الأشكال الملموسة من الثقافة كالمأكل والملبس وأنظمة الحياة العامة من قوانين وعمارة وقوانين وعادات وما إليها، ولعل أبرز مظاهر تأثير العولمة الثقافية في المجتمعات هي **"هيمنة اللغة وخاصة الإنجليزية و الفرنسية بما تحملانه من ثقافة متنوعة تجد طريقها إلى مختلف أرجاء العالم، لذلك تتسابق الشعوب إلى تكلم اللغتين أولاً، ومتابعة نتاجاتهما في مختلف أشكال الثقافة المرئية والمسموعة والإلكترونية، وخاصة في وسائل التواصل الاجتماعي"**[1]، يساعد في ذلك كثرة وسائل الاتصال وسهولة وصول المنتجات الثقافية عبر (الإنترنت) وشبكات التلفاز وغيرها من الوسائل المطروحة.

فالعولمة إذا هي تجسيد للتطورات الحياتية والفكرية والتكنولوجية المتلاحقة والمتلاحمة، التي تؤدي إلى انكماش العالم من حيث المكان والزمان، وبالنتيجة فهي زيادة وعي الأفراد في حقيقة حياتية جديدة ولها علاقة بكل ثورة معلوماتية من حيث السبب والنتيجة[2]. إذ تُعد العولمة ظاهرة ثقافية أفرزتها ثورة الاتصالات، وتقانة المعلومات، في ظل النظام العالمي الجديد، الذي أتاح للولايات المتحدة الأمريكية، ودول الغرب السيطرة الكاملة، والهيمنة على العالم، في كافة المجالات السياسية والعسكرية والاقتصادية والتقنية والثقافية[3]،

وهو ما يهدف البحث لتسليط الضوء عليه في موضوع العولمة، وعلاقتها بالمتلقي، وما يؤثر على هويته الثقافية، وثقافته القومية، وذاتيته الوطنية ومعتقداته الدينية، إذ تُعد العولمة من أكثر العناوين والمصطلحات استعمالا في عصرنا الحاضر، بل من أكثر قضايا

(١) دليل مصطلحات الدراسات الثقافية والنقد الثقافي: ص٢٢٩.

(٢) ينظر: دراسات في علم الاجتماع المعاصر: السيد شاد غنيم، دار النهضة العربية- بيروت، لبنان، (د.ط)، (د.ت): ص ١٠٦.

(٣) ينظر: الثقافة وأثرها على الهوية العربية والإسلامية، د. محمد الهواري، مجلة الحكمة للدراسات الاجتماعية- مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع -الجزائر، العدد ١٨، ٢٠١٣م: ص١٥١.

العصر المُثارة على نطاق العالم، ولكن ما يجد البحث ضالته فيه، هو الأسئلة التالية: هل وجد المتلقي في العولمة ضالته الثقافية التي يلجأ إليها، بعد أن أنسلخ عن هويته الفردية؟ هل استطاعت العولمة بوسائلها المتعددة أن تهيمن على المتلقي، وتسيطر على مشاهداته، وتفاعله، مستغنيا بها عن باقي الوسائل المسموعة كالراديو، والمقروءة كالكتب والمجلات والجرائد؟

هل استطاعت العولمة فرض هويتها الثقافية على المتلقي، من خلال تقمصه لها، بعد أن وجد فيها الملاذ الثقافي الآمن؟ فأخذ يكتب اسمه باللغة الإنجليزية بدل لغته الأصلية (العربية)، ويضع الملصقات التي تُشير للحضارة الأوربية، بدل الملصقات التي تُشير للتراث العربي أو الإسلامي. هل استسلم المتلقي للعولمة التي سلبت منه هويته الوطنية والقومية، ليجد نفسه ممتزجا مع خليط هووي لا ينتمي فيه لأحد؟.

كل هذه الأسئلة ستكون حاضرة في مبحثنا القادم (أنماط المتلقي في فيسبوك)، إذ من خلال كل نمط نجيب عما تساءلنا به؛ لأن كل نمط بدوره سيُشير للمتلقي، وتفاعله مع وسائل التواصل (الفيسبوك) بوصفه عينة البحث، ومن خلال ذلك التفاعل أو عدمه يتحدد موقفه، من حيث القبول والرفض، الاستسلام، والتمرد، المهادنة، أو الثورة على كل ما في العولمة، ووسائلها الاتصالية؛ لأن العولمة هي السيطرة على العالم والهيمنة على كل ما فيه، ونفي للآخر إذا وقف بالضد منها وعارض سياستها التوسعية، وقمع وإقصاء خصوصيته، وإذابة الخصوصيات الفردية للمجتمعات إلى درجة لا يكون فيها لأي مجتمع ثقافة ذاتية، أو هوية شخصية أو قومية، عبر الاندماج الكامل لمختلف دول العالم عبر نموذج التقنية الاتصالية الموحدة، والغزو الثقافي والإعلامي لفرض الزعامة والهيمنة لمن يقف خلف تلك الأدوات الثقافية الجديدة.

ولا يمكن القول أن العولمة ليس فيها خيرٌ، وأن كل ما جاء فيها يُعد شرا لا مثيل له، بل أن العولمة في صورتها الإيجابية تعني التطور الهائل الذي عرفه العالم في مجال التكنولوجيا ووسائل الإعلام والاتصال، وما نتج عنها من تقريب المسافات بين أجزاء

المعمورة، وإشاعة المعرفة، والتعاون المثمر بين الأمم والشعوب، فهي التي أسهمت من خلال أدواتها في **"تخفيف الحواجز والعوائق، التي تُعيق الاتصال الحر، والمباشر بين الأفراد والهيئات والجماعات"**[1].

أما في جانبها السلبي فهي تهدف إلى **"فرض الهيمنة، وغياب القيم الإنسانية، وتوظيف الثورة التكنولوجية والمعلوماتية، التي شهدها النصف الثاني من القرن العشرين"**[2]، لبسط سيطرتها على كل البشرية، من خلال سلب الهويات الفردية، والوطنية، والقومية، لصالح هوية واحدة تقف العولمة خلفها، فهي ببساطة نتاج ثقافة كولنيالية تهدف للسيطرة على العالم، والسيطرة على كل مقدرات الشعوب ومسخ هوياتهم الوطنية والفردية، ليكون العالم كله بهوية واحدة تابعه لمن يمتلك الوسائل التكنولوجية والتقنية الاتصالية ومعدات الثقافة الجاهزة.

(١) ينظر: في نقد العولمة وآثارها السلبية على الدول المتنامية: أعولمة أم شوملة، أم أمركة، عبد الهادي بو طالب، شلشلة الدورات، الدورة الخريفية، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية – الرباط، ٢٠٠١م: ص٣٧-٣٨.

(٢) الثقافة وأثرها على الهوية العربية والإسلامية: ص١٥٧.

«المبحث الثاني»

أنماط المتلقين في الفيسبوك

إن الإنسان يُقيم تواصلا ذاتياً بينه وبين نفسه، كما يقيم ذلك مع شخص آخر، فينتقل من التواصل الذاتي إلى التواصل الشخصي، وإذا كان بين جماعة أصبح اجتماعيا، ذلك بوصف اللغة تواضع اجتماعي، حيث **"يوجد على الأقل في كل موقف تواصلي شخصان، أحدهما فاعل حقيقي، والآخر فاعل على جهة الإمكان، أي المتكلم والمخاطب على التوالي، وكلاهما ينتميان على الأقل إلى جماعة لسانية، أي طائفة من الأشخاص لها نفس اللغة وترابط ضروب الاتفاق، للقيام بالفعل المشترك الإنجاز"**(١).

إذن فالمواضعة أساس التواصل بن أفراد المجتمع **"ونعني بالاتصال أو التفاعل الاجتماعي هنا، جميع أشكال الاحتكاك والتواصل التي تفرضها العلاقات الاجتماعية الإنسانية، وتُدعى الأغراض الحياتية أو المعيشية للفرد والجماعة، وتستدعي التخاطب واستخدام اللغة في إطارها اللفظي أو الرمزي العام"**(٢).

فكل تواصل اجتماعي في أي مجال، واقعي أو افتراضي يُعدُّ تواصلا اجتماعيا؛ لأن **"معنى التواصل أكثر شمولية من معناه المُعتاد، المنحصر في المنطوق والمكتوب والشبه لغوي، أي تلك العناصر التي تمثل أشكال التبادل الأساسية بين الأفراد، إذ نوسع من دائرته ليشمل أيضا أفعال وسلوكيات الفاعلين الاجتماعيين"**(٣).

---

(١) النص والسياق، فان دايك، تر: عبد القادر قنيني، ÷فريقيا الشرق –المغرب، د.ط،، ٢٠٠٠م: ص٢٥٨.

(٢) الحصيلة اللغوية، أحمد محمد معتوق، سلسلة عالم المعرفة، د.ط، ١٩٩٦م: ص٧١.

(٣) المعنى والتنسيق والصيرورة، أليكس موتشيلي، جان أنطوان كوريلان، فاليري فيرناندیز، تر:غسان غصن، دار النهار، د.ط، ١٩٩٤: ص٥١.

هذا ما يتعلق بالتواصل الشخصي بين طرفي الاتصال (الباث والمتلقي) من حيث أرسال الأول للرسالة، وتلقي الآخر لها، وكيفية تفاعله معها، أما ما يتعلق بوسيلة التواصل التي يتم بها ذلك فقد عَمِد البحث إلى وسيلة التواصل (الفيسبوك) لتكون مجالا للدراسة، وقبل الدخول في الحديث عن فاعلية المتلقي فيها وأنماطه، لا بدَّ من التعريف بالفيسبوك بشكل مختصر بحسب ما ذُكر عنه، وبحسب ظهوره، والتحولات الكبيرة في مجالاته، وهيمنته على التواصل بين الأفراد في كل مجالات المجتمع الافتراضي.

فالفيسبوك شبكة اجتماعية كناتج للإعلام الاجتماعي تأسست في عام (٢٠٠٤م)، على يد شاب عشريني أمريكي اسمه (زيك بيرج)، بالتعاون مع اثنين من رفاقه بالسكن الجامعي في جامعة (هارفارد)، وقد كان الموقع في البداية مقصورا على طلبة الجامعة، ثم امتد ليشمل طلبة الجامعات الأمريكية، ثم خرج بعد ذلك إلى أوربا والعالم ليصبح عدد أعضائه متجاوزا (٣٥٠ مليون عضوا)[١]. ويُعد الفيسبوك من أهم مواقع التواصل الاجتماعي، وأكثرها شهرة؛ حيث يُمكن للعضو في هذا الموقع بأن يقوم بأعداد نبذة شخصية عن حياته لتكون بمثابة بطاقة تعريفية له، ونبذة عن هويته لمن يُريد أن يتقرب منه، أو يتواصل معه، لذلك يُشرط في هذا الموقع استعمال البيانات الحقيقية للمشترك، وتُمنع البيانات المستعارة أو المزيفة[٢].

ويشكل المتواصلون على موقع الفيسبوك مجتمعا افتراضيا اكثر سهولة وراحة من حال المتواصلين في المجتمعات الحقيقية، ففي هذا الواقع الافتراضي يستطيع الفرد اختيار الأصدقاء والتعرف عليهم، والتعامل معهم، ولا يجد نفسه مضطرا للتقارب مع أشخاص لا يرغب في التعامل معهم؛ لأنه يستطيع في هذا الموقع الاطلاع على بياناتهم،

(١) ينظر: وسائل الإعلام والاتصال، محمد صاحب سلطان، دار الميسر للنشر والتوزيع- عمان، ط١، ٢٠١٢م: ص٣٦٠-٣٦١.

(٢) ينظر: أثر استخدام مواقع التواصل الاجتماعي على سلوك الشباب الجزائرين: ص٤٦.

وكل ما يتعلق بهم، قبل السماح لهم بالدخول لعالمه الافتراضي، وهنا يتحقق له ما لا يتحقق في العالم الحقيقي.

ويستطيع كل عضو فيه أن يقف على آخر أخبار الأصدقاء عن طريق ما يُعرض في صفحة العضو من رسائل، أو أخبار، لإبلاغ أصدقائه بأخباره، واجتماعاته، أو أي صورة أو مقطع فديو، أو مقطع موسيقي يرغب في مشاهداتهم له، وهنا يأتي دور المتلقي وتفاعله مع ما يُنشر في كل صفحة من صفحات الأصدقاء، فيكون تفاعله معها بحسب نوع المتلقي وثقافته وتوجهاته، وهو مطمح البحث في أنماط المتلقين، التي سيأتي الحديث عنها لاحقا. من خلال تسليط الضوء على المتلقين وأنماطهم وتواصلهم وتفاعلهم، ولذلك سنقف على أهم الأنماط التي يمكن أن نعمد إليها وهي كالآتي:

المتلقي المثقف

حين نعمد إلى تحديد مفهوم المتلقي المثقف لا نستطيع تجاهل التعريفات التي أوردها العديد من الكُتّاب والمهتمين بقضية المثقف ودوره في المجتمع؛ لأن هذا المفهوم من **"بين المفاهيم حديثة النشأة التي يصعب الجزم بوجودها في الثقافة العربية، مما يجعل هذه العبارة تحيل إلى مفهوم حديث للكاتب صانع الأفكار"**[1].

ولم يظهر هذا المفهوم أو التعريف قبل أن يطرحه المفكر الإيطالي (كرامشي)، فهناك عدة تعريفات للمثقف، ولكن أول تعريف نجده يتعرّض لمفهوم المثقف بشكل واضح ومحدد هو تعريف (كرامشي) في كتابه (كراسات السجن)، حيث يقول: **"إن تصور المثقفين كفئة اجتماعية متميزة ومستقلة عن الطبقة ليس إلا خرافة، فكل الناس يمكنهم**

(١) السلطة الثقافية والسلطة السياسية، علي أومليل، مركز دراسات الوحدة العربية –بيروت، ١٩٩٨م: ص٩.

أن يكونوا مثقفين، بمعنى أن لديهم ذكاء، وأنهم يستخدمونه، ولكنهم ليسوا جميعهم مثقفين من حيث الوظيفة الاجتماعية"[١].

وعلى الطرف النقيض، نجد ذلك التعريف الشهير من (جوليان بندا) للمثقفين **"بأنهم عصبة صغيرة من الملوك والفلاسفة، الذين يتحلّون بالموهبة الاستثنائية وبالحس الأخلاقي الفذّ، ويشكلون ضمير البشرية"**[٢].

وهناك مصطلح لا يمكن تجاهله عند الحديث عن المثقف، وأعني به مصطلح الإنتلجنسيا، الذي يُشار به إلى النخبة المثقفة، والمتميزة بميول نقدية نحو الحالة الراهنة، ويُعرف (محمد دقس) الإنتلجنسيا بأنها **"النخبة المثقفة التي تمتهن الثقافة (المادية والفكرية)، ولها تأثير قوي على المجتمع من خلال الوعي الاجتماعي"**[٣].

بذلك يكون المتلقي المثقف، بوصفه صاحب موقفٍ نقديٍ من قضايا المجتمع، وفاعلا اجتماعيا قادرا على التأثير في الواقع، من خلال ما يتابعه في وسائل التواصل الاجتماعي وبخاصة الفيسبوك؛ لأنه الوسيلة الأقرب للمتلقي، والتي من خلالها يعرف كل ما يدور حوله من أخبار تخصه شخصيا، أو تخص مجموعة من الأصدقاء من حوله، ولكن السؤال الأهم: هل وجد المتلقي المثقف نفسه منعزلا في عالم منفصل عما يدور حوله؛ لأنه ملكا، أو فيلسوفا؟

---

(١) كراسات السجن، أنطونيو جرامشي، تر: عادل غُنيم، دار المستقبل العربي- القاهرة، د.ط، ١٩٩٤م: ص٢١.

(٢) صور المثقف، ادوارد سعيد، نقله إلى العربية: غسان غصن، راجعته:منى أنيس، دار النهار للنشر والتوزيع- بيروت، د.ط، ١٩٩٦م: ص٢٢.

(٣) الإنتلجنسيا العربية: المثقفون والسلطة، الإنتلجنسيا العربية: الواقع والطموح، محمد دقس، منتدى الفكر العربي بالتعاون مع اتحاد المحامين العرب والجمعية العربية لعلم الاجتماع- عمان، ط١، ١٩٨٨م: ص١٤١.

هل اتخذ من نفسه، وما يحمل من أفكار تدل على ثقافته، منعطفا أجج الفرقة بينه وبين غيره ممن يتواصل معهم؟. مما يدفع به إلى تَمَنّعه من أن يعطي موقفا تجاهه منشوراتهم، أو تعليقاتهم، أو يخفي تفاعله مع طروحاتهم في مواقع التواصل؛ لأنهم ليسوا من طبقته التي يُعد منها، ولا يملكون رصيدا ثقافيا يتناسب ورصيده الفكري المتعالي، ولذلك تجده وحيدا في مواقفه وتفاعلاته، وهذا المتلقي، هو متلقي من طبقة خاصة، بعيدة عن باقي الأنماط من المتلقين الذين يهتمون بالمنشورات والتعليقات في صفحات الفيسبوك؛ فهو صاحب مشروع أيديولوجي، أو ديني، أو ثقافي، والذي يضطلع بوظيفة التبشير بفكرة معينة يراها الأكثر صوابا، وهو يحاول أن يُسيطر على جماعته ويقودها. فتجده منكفئا بما لديه، بعيدا عن مجتمعه الافتراضي، معتزلا كل من حوله، إلا مجتمع النخبة الذي يظنُّ نفسه منتميا له أو هو أحد أفراده المميزين.

وللوقوف على على مثل هذا المتلقي، سيعمد البحث إلى مقال منشور في إحدى صفحات الفيسبوك والذي يتحدث فيها كاتب المقال عن موقف الروائية الجزائرية (احلام مستغانمي) من المغني الجزائري (الشاب خالد) **"وصلتُ إلى بيروت في بداية التسعينات، في توقيت وصول الشاب الجزائري (خالد) إلى النجوميّة العالميّة. أُغنية واحدة قذفت به إلى المجد كانت أغنية "دي دي واه" شاغلة الناس ليلاً ونهاراً. على موسيقاها تُقام الأعراس، وتُقدَّم عروض الأزياء، وعلى إيقاعها ترقص بيروت ليلاً، وتذهب إلى مشاغلها صباحاً.!!"**[1].

إذ نجد تعليقا لأحد المتلقين المثقفين الذي يمتلك نظرة ثاقبة من خلل إشارته للمقال المنشور في الفيسبوك والذي يتناسب ومشروعية النقد الموجه من مستغانمي للذائقة العربية التي أخذت تُقيم شعوبا من خلال أغنية لم يعرف أغلب متلقيها معنى كلماتها (دي دي واه) قائلا فيه **"صحيح لا تنظر لمن قال ولكن انظر ماذا قال... على**

(١) المقال منشور على صفحة الفيسبوك للناقد الدكتور علي حسن هذيلي، بتاريخ ١٤ ا٨/ ٢٠٢٠ الساعة ٩:٢٠ صباحا

الرغم من أن أصابع الاتهام لا تخطأ مستغانمي بوصفها واحدة من المساهمين الأساسيين في انحراف وتزيف وعي الشباب الإسلامي بسبب كتابتها الشهوانية والإباحية مثل فوضى الحواس، وعابر سرير، وذكرة الجسد التي قال نزار قباني عن روايتها ذاكرة الجسد وعن الكاتبة أحلام «روايتها دوختني. وأنا نادرا ما أدوخ أمام رواية من الروايات، وسبب الدوخة أن النص الذي قرأته يشبهني إلى درجة التطابق فهو مجنون ومتوتر واقتحامي ومتوحش وإنساني وشهواني وخارج على القانون مثلي» لكن عموما فإن مقالتها التي تشي بمقدار الهبوط الذي وصلت إليه الذائقة العربية والإسلامية والتي تحدد بدورها مستوى الوعي المنحدر والهابط الذي استقرت عنده تلك الذائقة "[1].

فالمتلقي المثقف أظهر مواطن النقد التي وجهتها مستغانمي للذائقة العربية، ومستويات الهبوط الثقافي المخيفة التي وصلت إليها الذائقة العربية، بعدما كانت ذائقة متميزة تنطلق من عمق الثقافة العربية الإسلامية العالية الطبقة، وقد وجه المتلقي المثقف سهامه إلى مستغانمي نفسها؛ لأنه يراها مشاركة في هذا الانحطاط الذي وصلت له الذائقة من خلال تمردها، وعبورها على المحظورات في كتاباتها الروائية، لذا نجد أن موقفه الذي شخص من خلاله الخلل الناتج في الذائقة والمسببات التي تقف خلف ذلك الانحطاط ناتجا مما يملك من أرث ثقافي ومنظومة ثقافية تمكنه من تمييز وكشف خطوط التدني الثقافي والانحطاط الاخلاقي فيما يُنشر.

(١) تعليقا من أحد المتلقين على المقال نفسه، يمكن مراجعته من خلال الاطلاع على المقال في صفحة الدكتور علي حسن هذيلي.

المتلقي الناقد

أما النوع الثاني من المتلقين، فهو المتلقي الناقد، ذلك المتلقي الذي لا يرضى بكل ما يَحدث له ولمجتمعه، **"فهو يحاول أن يفكك المقولات والثوابت ويُعيد تركيبها وفق رؤية واعية، فهو يتمتع بالعقل النقدي الذي يعمله في النظر إلى الأشياء والقضايا"**(١).

فهو القادر على أن يمثل بوضوح وجهة نظر ذات طبيعة ما، ويعبر عما يعتقد من الأفكار التي يمثلها، وقد يشكل اختفاء هذا المتلقي في مواقع التواصل نوعا من الخطر؛ لأن وجوده مرتبط بالنقد البنَّاء لكل ما يطرح، فهو القادر على تمحيص المطروح من الباث على اختلاف مستواه الفكري أو الثقافي أو الأيديولوجي أو الديني، فالمتلقي الناقد يستطيع توجيه ما يُطرح بطريقة الناقد المتخصص فهو **"شخص يمارس عمله داخل مبحثه الخاص ولكنه قادر على استعمال خبرته على أية حال"**(٢).

ولذا يُعد وجوده بين متابعي الفيسبوك مهما؛ لأنه يُشكل حلقة الوصل بين الباث وما يطرح في مواقع التواصل- وأخص ما يُطرح في الفيسبوك، وبين السلطة و أدواتها، أو المتحكمين بالقرار السياسي والثقافي والديني وما يجب عليها أن تفعل لتكون قادرة على التغيير ومجاراة الواقع؛ لأن عدم التزامها بمهام عملها تجاه المُعرضين بها وبأساليبها، يجعلها عرضة للمتلقي الناقد، الذي يكون بيده سلاح التغيير من خلال ما يمتلكه من أدوات تمكنه من توجيه السلطة والتنديد بعملها، وإلا تكون محطة للتجريح والنقد من قبله.

ومثال على المتلقي الناقد المتخصص نُورد تعليقا لمتلقي يرسل ردا على منشور يتناول الشعر الحر أو شعر التفعيلة، إذ يقول بعد مقدمة عن الآليات التي أسهمت في

---

(١) صورة المثقف في الرواية الجديدة، هويدا صالح، رؤية للنشر والتوزيع –القاهرة، ط١، ٢٠١٣م: ص٦٩.

(٢) المثقف والسلطة، إدوارد سعيد، ترجمة وتقديم: الدكتور محمد عناني، رؤية للنشر والتوزيع، د.ط، ٢٠٠٦م: ص٤١.

ظهوره " لا بد من أسباب لذلك اقول: قد تساعدنا هذه الاستنتاجات الأولية على مفتاح للجواب:

- ❖ من يؤمن بالشعر العمودي لا يؤمن بالتفعيلة وقصيدة النثر؛ لذلك قد يبدو الجمع بين الثلاث غير ذي فائدة. فالجواهري مثلا، الذي لا يؤمن بالاثنين، غير معني بالاختيار بين التفعيلة وقصيدة النثر..

إذن بقي لدينا "الشاعر المؤمن" بالمدرسة الشعرية الجديدة..

- ❖ سيكون هذا "الشاعر المؤمن" أمام خيارين لا ثلاثة: (خياران: لأنه غير معني بالشعر العمودي الموزون على الطريقة الخليلية الذي يحتاج إلى معرفة كبيرة بالوزن، والصياغة؛ وهذه "المعرفة" غير موجودة عند أغلب الشعراء الجدد.

الخيار الأول: أن يكتب شعر تفعيلة.. (علما بان شعر التفعيلة يحتاج إلى معرفة في الوزن والصياغة؛ فهو شعر موزون ولكن ليس على الطريقة الخليلية. فضلا عن ذلك فإن نازك الملائكة في كتابها "قضايا الشعر المعاصر" قد وضعت" قواعد صعبة" لكتابة الشعر الحر/ شعر التفعيلة. وقد يكون هذا "التقعيد" جعل من شعر التفعيلة معقدا وصعبا.

الخيار الثاني: أن يكتب قصيدة نثر: (اذا عرفنا بأن قصيدة النثر تهتم (بالموسيقى الداخلية) في الجملة الشعرية المكتوبة، وغير معنية بالوزن الخليلي، ولا قواعد نازك لشعر التفعيلة). وهذا النوع من الشعر سهل جدا؛ لأنه لا يحتاج الى صياغة، بل يحتاج إلى معان.. وهي موجودة على "قارعة الطريق!!!". وعليه فالشاعر "الهارب" من الوزن الخليلي والصياغة الصعبة للشعر العمودي، سيذهب، بالضرورة، الى حقل شعري سهل و بلا أوزان وهو الخيار الثاني، أي إلى "قصيدة النثر". ولا يذهب إلى "شعر التفعيلة" الموزون والصعب على الطريقة النازكية، وهو الشاعر الذي يسعى الى التحرر والسهولة.

❖ تأسيسا على ذلك: فإن الشاعر المؤمن بالمدرسة الشعرية الجديدة سيذهب الى "قصيدة النثر" ويهمل "شعر التفعيلة" لسببين:

سبب أول: الإيمان بالشعر الجديد؛ لسهولته، والتحرر من اوزان الشعر العمودي، الذي يجهل أغلب الشعراء الجدد أوزانه. وهذا الشعر الجديد سيمنح الشاعر الحرية الأكبر للتعبير عن الحياة الجديدة، بلا شروط ولا قيود.

والسبب الثاني: هو "الهروب من الوزن" نهائيا، طلبا للسهولة الأكبر. وهذه السهولة موجودة في "قصيدة النثر". فالوزن الشعري موجود في "العمودي" و"التفعيلة" مع بعض الاختلافات.

وعليه ستكون "قصيدة النثر" هي الملجأ الوحيد للتخلص نهائيا من صعوبة الصياغة و"الوزن الثقيل"!! والتعبير عن تفاصيل الحياة الجديدة❋..

❖ أخيرا اقول: بأن هذه الظاهرة الشعرية التي أشرت لها في سؤالك، تحتاج إلى بحث أوسع وأشمل لكشفها.."[1]، فالمتلقي الناقد قد عَمِل على توجيه المنشور وتأسيس طريقا له، مع ما يمكن أن تمثله قصيدة الفعيلة وما يتبعها من تمثلات الشعراء لقصائدهم المنشورة وبيان مناطق القوة والضعف، وبيان الأسباب التي أسهمت في ظهورها، والمعوقات التي كانت عائقا أمامها، والتوصيات التي يحث صاحب المنشور عليها، والتي لا تصدر إلا عن ناقد متخصص.

(١) تعليق لمتلقي ناقد على منشور في الفيسبوك منشور بتاريخ (٣/ ٨/ ٢٠٢٠) الساعة ١:٠٩م.

المتلقي الفوضوي

المتلقي الفوضوي هو المتلقي الذي يرفض الانسجام مع طروحات المجتمع الافتراضي، ولا يُعنى بقضاياه، ولا يهتم بتغييره، فهو على طول تلقيه لما يَطرح الباث في صفحات التواصل الاجتماعي (الفيسبوك)، ينتقد ويسخر من أجل السخرية، وليس من أجل تغيير المفاهيم الخاطئة، التي يكثر شيوعها في العالم الافتراضي ولا يرضاها، فهو فقط **" رافض وحانق من أجل الرفض، يشعر بالعدمية، واللاتحقق، ولا يُعنى بقضاياه الشخصية والمجتمعية"**[1].

ولذلك فأن حضور هذا المتلقي أو غيابه عن مواقع التواصل الاجتماعي لا يكون هاما في العالم الافتراضي، إذ أن وجوده يقتصر على ذات المتلقي؛ لأنه مجرد وسيلة تستعمل السخرية والحط من قيمة المطروح ثقافيا كان أو أيديولوجيا أو دينيا أو تعليميا. والحقيقة أن مواقع التواصل الاجتماعي الفيسبوك تَعجُّ بمثل هذا المتلقي، وتكثر صوره؛ لأن هذا النوع من المتلقين يتابع المنشورات، والشائعات ويلاحق تواجدها، ليس لغرض النقد، أو السيطرة على توجهات من يبث تلك الأخبار والشائعات، والهيمنة على أفكاره، بل يكون هذا المبثوث وسيلة يغذي بها سخريته من كل ما يُطرح، وهو نوع من الفصام الاجتماعي، بين الباث ورسالته المرسلة من خلال نشرها في مواقع التواصل، وبين شغل وقت الفراغ والقضاء على الملل الذي يطارده دون طرح معالجات حقيقية لما يقرأ في صفحات الفيسبوك، ؛ لأنه شخصية هامشية لا مرتكز ثقافي أو اجتماعي لها، إذ أن هذا النوع من المتلقين غير مسؤول عن تغيير واقعه الحقيقي أو الافتراضي.

(١) صورة المثقف في الرواية الجديدة: ص٦٨.

ولذلك نجد أن أغلب تعليقاته التي يكتفي بها تكون (منور)، (اطلالة ساحرة)، (يا رووعة)...الخ. فكل هذه التعليقات التي يُطلقها المتلقي لا تتناسب والمنشورات التي تأتي لمعالجة حالة، أو الإشارة إلى ظاهرة معينة، فالمتلقي في تعليقاته يقصد السخرية أو اللامبالاة بدون تحديد الغرض الذي يُريده منها.

المتلقي المحايد

يمكن أن نُطلق على هذا النوع من المتلقين المساير أو التبريري، أو الملتزم، فالمتلقي في هذا الحال يكون بعيدا عن الاشتباك، ودائرة الضوء، ويهدف لأن يكون تلقيه لما يقرأ منطقيا، ومقنعا لكل الأطراف، أي لا يجد في ما يبث من ردة فعل تمردا على طرف دون الآخر، وهذا النوع من المتلقين يعيشون في بؤرة بعيدة عن الصراع الدائر في مواقع التواصل الاجتماعي الفيسبوك، وهو الذي يقبل كل الأوضاع المجتمعية والثقافية، بل يحاول أن يجد تبريرا وعذرا مقبولا لكل ما يُطرح من منشورات وشائعات والتي تهدف لتصحيح مسارات السلطة، وتوجيه النقد لها، أو المنشورات التي توجه سهامها للنظم الاجتماعية أو الثقافية أو الأثنية أو الأيديولوجية، ويُخلي مسؤوليتها عن كل تقصير، والتي يحاول الباث إلصاقها بها، وهذا النوع من المتلقي لا يُعد صاحب موقف ثابت، أو نظرية يتبناها، ويدافع عنها، بل هدفه الأساس هو الحفاظ على موقعه، وتواجده فيما هو فيه دون الولوج في خضم الصراع الدائر بين السلطة ومعارضيها. ومثل هذا المتلقي لا تتجاوز تعليقاته الحفاظ على مكتسباته التي حققها من قربه من هذا الشخص أو ذاك، لهذا لا يقدم ولا يُؤخر وإنما يكتفي بالتهليل والتصفيق ومثل هذا المتلقي نجده كثيرا في منشورات الفيسبوك.

المتلقي الهامشي

يمكن أن نقول أن المتلقي الهامشي، هو المتلقي الذي يعيش منفردا، أي غير مندمج في المجتمع الافتراضي الفيسبوك، أو لا يُريد الاندماج فيه، هذا بإرادته، أما إذا كان بغير إرادته فهو مهمش من قبل غيره، ولا يمكن تقصي أسباب هذا الرفض إلا بالدخول إلى عالمه الخاص، من خلال فهم أسباب هذا الانعزال عن عالم يتشعب فيه كل شيء، عالم يعجُّ بالتعليقات، والشائعات، والمنشورات.

فالمتلقي من هذا النوع، قد يكون صاحب وجهة نظر مختلفة عما نفكر به أتجاه عالم الفيسبوك الافتراضي، فهو قد يجد في هذا العالم الغير حقيقي، والمتخيل وكل ما فيه وسيلة لا تمت للواقع بصلة، والحقائق التي تُطرح به مجرد افتراءات، ولا دليل على واقعيتها، وصدقيتها، ولذلك ينعزل عنها، ويعيش فردانيته، دون الدخول إلى تخوم ذلك العالم، ولهذا يبقى منفردا بإرادته دون تهميش من أي طرف خارجي. والأمثلة على هذا النوع من المتلقين من الصعب تحديدها؛ لأن هذا النوع لا يقبل الإشارة إليه وتمييزه عن غيره من المتلقين، وقد يَعد تلك الإشارة نوعا من التمييز القسري، أو المتعمد، أو التجاوز على حريته الفردية، واقتحام عالمه الخاص، لذلك تجنب البحث الإشارة إلى أمثلة من هذا النوع؛ حتى لا نقع تحت طائلة المسائلة القانونية.

وعليه يمكن القول: إن الأنماط التي تناولها البحث تُشير للتنوع في طريقة تلقي المطروح من قبل الباث في الفيسبوك، بحسب ثقافة المتلقي وقدرته على السيطرة والتحكم بالباث، وما يتناوب على نشره من رسائل، والقدرة على فرض رأيه، ومشاركته بتغيير واقع المجتمع الافتراضي الذي يتابعه، ويتلقى منه ما يناسب توجهاته الفكرية والثقافية، وكذلك نجد في بعض المتلقين قابلية للتمرد أو الفوضوية في تلقي ما يُطرح، والسخرية من كل شيء، أو يكون المتلقي محايدا مهادنا تبريريا لا يكون في دائرة الضوء، ويميل للاعتدال، أو يكون في بعض الأحيان متلقيا هامشيا، غير راغب في الاندماج في عالم الفيسبوك الافتراضي، وانعزاله اختياريا لا برغبة من غيره.

الخاتمة

يجد البحث أن لكل عمل نتائج يهدف للوصول إليها بعد دراسة معمقة فيه، ودراستنا حول المتلقي والعولمة الثقافية وأنماط المتلقين في الفيسبوك وصلت لنهايتها، وعلينا أن نبين ما توصل البحث إليه من خلال الدراسة وهي كالآتي:

- تُعد وسائل التواصل الاجتماعي بمختف تطبيقاتها، عالم مختلف المشارب، يجد فيه المتتبع كل ألوان المعرفة الثقافية والفكرية والدينية والأيديولوجية.
- شهدت العولمة في بدايات القرن الحادي والعشرين تحولات مهمة، إذ أصبحت وسيلة من وسائل الهيمنة الثقافية على كل وسائل الاتصال والثقافة، بعد أن كان الهدف منها في بدايات ظهورها الهيمنة العسكرية والسياسية والاقتصادية، والسيطرة على مقدرات البلدان التي تقع تحت طائلة الغرب الكولنيالي.
- يجد للمتلقي مساحة واسعة من الحرية للتعبير عن رأيه، وتوجيهه النقد لكل ما يُطرح في وسائل التواصل الاجتماعي، وهنا يجد المتلقي نفسه حرا في التعبير عما يُضمر في داخله، دون قيود من سلطة أو مجتمع، من خلال تقمصه لشخصية مستعارة، تُخفي شخصيته الحقيقية في العالم الافتراضي.
- يُتيح العالم الافتراضي (الفيسبوك) للمتلقي الحرية في قبول الأصدقاء أو رفضهم، من خلال إطلاعه على ملفاتهم التعريفية، على عكس العالم الواقعي، إذ لا تتاح له هذه الحرية في القبول أو الرفض.
- تعددت أنماط المتلقين، واختلفت تفاعلاتهم مع ما يُنشر في موقع (الفيسبوك)، بحسب النوع الذي جاء فيه، فمرة يكون المتلقي مثقفا أو ناقدا، ومرة يكون فوضويا يهدف للسخرية لا لشيء إلا للتمرد والفوضى، ومرة محايد لا يزحم نفسه في بوتقة التحديات، وآخر هامشيا، يعيش منفردا، أي غير مندمج في المجتمع الافتراضي الفيسبوك.

- يمكن أن يترك البحث فرصة للباحثين لدراسة المتلقي أو مستويات التلقي في وسائل التواصل الاجتماعي الأخرى (يوتيوب وتويتر) أو غيرها من وسائل التواصل الإلكتروني.

المصادر والمراجع

- آثار العولمة على البلدان المتنامية في المجالين الثقافي والتواصلي، ناصر الدين الأسد، سلسلة الدرورات، الدورة الخريفية، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية –الرباط،٢٠٠١م.
- إشكالية التلقي والتأويل في النص المعاصر (النص المسرحي إنموذجا)، د. مصطفى جلال مصطفى، دار الفنون والآداب للطباعة والنشر والتوزيع، العراق، أفكار للدراسات والنشر والتوزيع- سورية، ط١، ٢٠١٦م.
- الإنتلجنسيا العربية: المثقفون والسلطة، الإنتلجنسيا العربية: الواقع والطموح، محمد دقس، منتدى الفكر العربي بالتعاون مع اتحاد المحامين العرب والجمعية العربية لعلم الاجتماع، عمان –الأردن، ط١، ١٩٨٨م.
- التلقي في النقد العربي في القرن الرابع الهجري، مراد حسن فطوم، منشورات الهيأة العامة السورية، وزارة الثقافة – دمشق، ٢٠١٣م.
- الثقافة وأثرها على الهوية العربية والإسلامية، د. محمد الهواري، مجلة الحكمة للدراسات الاجتماعية- مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع –الجزائر، العدد ١٨، ٢٠١٣م.
- الحصيلة اللغوية، أحمد محمد معتوق، سلسلة عالم المعرفة، د.ط، ١٩٩٦م.
- الدراسات الثقافية مدخل تطبيقي، مايكل رايان، بالاشتراك مع إنكرام وحنا موسيول، ترجمة وتحقيق وتدقيق: د. خالد سهر، دار بغداد للطباعة والنشر والتوزيع – العراق، بغداد، ط١، ٢٠١٦م.
- الدراسات الثقافية: مقدمة نقدية، سايمون ديورنغ، تر: د.ممدوح يوسف عمران، عالم المعرفة، سلسلة شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، ٢٠١٥م.

- دراسات في علم الاجتماع المعاصر: السيد شادي غنيم، دار النهضة العربية- بيروت، لبنان، (د.ط)، (د.ت).
- دليل الناقد الأدبي، د. ميجان الرويلي، د. سعد البازعي، المركز الثقافي العربي- الدار البيضاء، المغرب، ط٥، ٢٠٠٧م.
- دليل مصطلحات الدراسات الثقافية والنقد الثقافي، د. سمير الخليل، مراجعة وتعليق: د. سمير الشيخ، دار الكتب العلمية –بيروت، ط١، ٢٠١٦.
- السلطة الثقافية والسلطة السياسية، علي أومليل، مركز دراسات الوحدة العربية –بيروت، ١٩٩٨م.
- الشباب والإنترنت، يامين محمد بودهان، دار مجلاوي للنشر والتوزيع- عمان، ط١، ٢٠١٢م.
- شبكات التواصل الاجتماعي وديناميكية التغير في العالم العربي، خالد وليد محمود، مكتبة النيل والفرات، لبنان، ٢٠١١م.
- صور المثقف، ادوارد سعيد، نقله إلى العربية: غسان غصن، راجعته: منى أنيس، دار النهار للنشر والتوزيع- بيروت، د.ط، ١٩٩٦م.
- صورة المثقف في الرواية الجديدة، هويدا صالح، رؤية للنشر والتوزيع – القاهرة، ط١، ٢٠١٣م.
- عولمة التجريم والعقاب: عثمانية لخميسي، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع- الجزائر، ٢٠٠٦م.
- في نقد العولمة وآثارها السلبية على الدول المتنامية: أعولمة أم شوملة، أم أمركة، عبد الهادي بو طالب، سلسلة الدورات، الدورة الخريفية، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية – الرباط، ٢٠٠١م.
- القيم الاجتماعية في عالم متغير، منال محمد عباس، دار المعارف الجامعية- الإسكندرية، (د.ط)، (د.ت).

- كراسات السجن، أنطونيو جرامشي، تر: عادل غُنيم، دار المستقبل العربي- القاهرة، د.ط، ١٩٩٤م.
- المثقف والسلطة، إدوارد سعيد، ترجمة وتقديم: الدكتور محمد عناني، رؤية للنشر والتوزيع، د.ط، ٢٠٠٦م.
- المعنى والتنسيق والصيرورة، أليكس موتشيلي، جان أنطوان كوريلان، فاليري فيرناندیز، تر:غسان غصن، دار النهار، د.ط، ١٩٩٤.
- النص والسياق، فان دايك، تر: عبد القادر قنيني، ÷فريقيا الشرق –المغرب، د.ط،، ٢٠٠٠م.
- نظرية التوصيل وقراءة النص الأدبي، عبد الناصر حسن محمد، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات- القاهرة ١٩٩٩م.
- وسائل الإعلام والاتصال، محمد صاحب سلطان، دار الميسر للنشر والتوزيع- عمان، ط١، ٢٠١٢م.
- وسائل التواصل الاجتماعي ودورها في التحولات المستقبلية: من القبيلة إلى الفيسبوك، حمال سند السويدي، مطبوعة الكترونيا، ط١، ٢٠١٣م

الرسائل والاطاريح

- أثر استخدام مواقع التواصل الاجتماعي على سلوك الشباب الجزائريين، كاتب فارس، عقون دنيا، رسالة ماجستير، جامعة العربي بن مهيدي، أم البواقي،٢٠١٦م.
- دور شبكات التواصل الاجتماعي في التغيير السياسي في تونس ومصر من وجهة نظر الأردنيين، عبد الله محمود الرعود، رسالة ماجستير، جامعة الشرق الأوسط، ٢٠١٢.

المجلات والبحوث

❖ مفهوم نظرية القراءة والتلقي، الكلمة المفتاح: قرأ، تلقى، د.خالد علي مصطفى/ .ربى عبد الرضا عبد الرزاق، مجلة ديالى، العدد التاسع والستون، ٢٠١٦م.